خيرُ دينِكُمُ الورع

الخطبة الأولى :

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ الْوَرَعَ وِقَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي مَعْصِيَتِهِ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَخَافَتِهِ مَا بَاعَدَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُخَالَفَتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَرَ بِاتِّقَاءِ الشُّبُهَاتِ، وَحَذَّرَ مِنَ الاقْتِرَابِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْمُخَالَفَاتِ، صلى الله عليه وسلمَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَعَلَى أَتْبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أما بعد : فأوصيكم ....

عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال ﷺ: اشْتَرَى رَجُلٌ مِن رَجُلٍ عَقارًا له، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذي اشْتَرَى العَقارَ في عَقارِهِ جَرَّةً فيها ذَهَبٌ، فقالَ له الَّذي اشْتَرَى العَقارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي؛ إنَّما اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأرْضَ، ولَمْ أبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ، وقالَ الَّذي له الأرْضُ: إنَّما بعْتُكَ الأرْضَ وما فيها. فَتَحاكما إلى رَجُلٍ، فقالَ الَّذي تَحاكما إلَيْهِ: ألَكُما ولَدٌ؟ قالَ أحَدُهُما: لي غُلامٌ، وقالَ الآخَرُ: لي جارِيَةٌ، قالَ: أنْكِحُوا الغُلامَ الجارِيَةَ وأَنْفِقُوا علَى أنْفُسِهِما منه وتَصَدَّقا. خ.م

عباد الله: إنَّ من يقرأُ أو يسمعُ هذا الحديثِ لا يدري بأيِّهِما يعجبُ أكثرُ؛ من البائعِ، أم مَّن المشتري، أم مَّن الحكمِ؟

فكلٌّ واحدٍ منهم أشدُ عجبًا، فأيُّ خُلُقٍ هذا الذي يضبطُ النفوسَ ويوجِهُ السلوكَ ويولدُ القناعاتِ!

به تزكو النفوسُ، وبه يرتقي العبدُ في مراتبِ الإيمانِ ودرجاتِه، وبه ينالُ العبدُ محبةَ اللهِ ومحبةَ خلقِه، وبه تعمُّ السعادةُ حياةَ الأفرادِ والمجتمعاتِ إنَّه خُلقُ الورعِ .

الوَرَعُ: ليس هو الكفَّ عن المحارمِ، والتَّحرُّجِ منها فقط؛ بل هو بمعنى الكَفِّ عن كثيرٍ من المُباحِ، والانقباضِ عن بعضِ الحلالِ خشيةَ الوقوعِ في الحرامِ.

الوَرَعُ: تَرْكُ ما يَرِيبُكَ، ونَفْي ما يَعِيبُك، والأخذُ بالأوثقِ، وحَمْلُ النَّفْسِ على الأشقِ. الورعُ تَجَنُّبُ الشبهاتِ، وتَرْكُ ما يُخْشَى ضَرَرُه في الآخرةِ.

الورعُ: أداءُ الإنسانِ للواجباتِ وتركُ المحرماتِ والبعدُ عن الشبهاتِ؛ خوفًا وتعبدًا لربِّ الأرضِّ والسماواتِ .

قال ﷺ: واللَّهِ إنِّي لأَنْقَلِبُ إلى أهْلِي فأجِدُ التَّمْرَةَ ساقِطَةً علَى فِراشِي، أوْ في بَيْتِي، فأرْفَعُها لِآكُلَها، ثُمَّ أخْشَى أنْ تَكُونَ صَدَقَةً، أوْ مِنَ الصَّدَقَةِ، فَأُلْقِيها) خ.م.

عباد الله: إِنَّ الْوَرَعَ مَنْزِلَتُهُ رَفِيعَةٌ، وَدَرَجَتُهُ سَامِيَةٌ؛ لأَنَّ الْبَاعِثَ عَلَيْهِ هُوَ الْحِرْصُ عَلَى طَاعَةِ اللهِ وَمَرْضَاتِهِ،

وَالدَّاعِيَ إِلَيْهِ هُوَ الْحَذَرُ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ وَسَخَطِهِ، فَلا يَلْتَزِمُ بِهِ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ، وَلا يَقِفُ عِنْدَ حُدُودِهِ إِلاَّ الأَتْقِيَاءُ المُخْبِتُونَ، الَّذِينَ لامَسَ الإِيمَانُ شَغَافَ قُلُوبِهِمْ، فَأَنِسَتْ لِذِكْرِ اللهِ وَطَاعَتِهِ، وَاشْمَأَزَّتْ مِنَ الاقْتِرَابِ مِنْ مُخَالَفَتِهِ وَمَعْصِيَتِهِ، فَهِيَ مَرْتَبَةٌ مِنَ الدِّينِ عَالِيَةٌ ،لِذَلِكَ وَسَمَهَا الرَّسُولُ ﷺ بِأَنَّهَا خَيْرُ هَذَا الدِّينِ، فقَالَ ﷺ (فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ، وَخَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ) الحاكم .

إنَّ من السهولةِ بمكانٍ أنْ يكون المُسلِمُ مُصَلِّيًا أو صَوَّامًا أو قوَّاماً أو حتى عالِمًا؛ ولكن من الصعوبةِ بمكانٍ أنْ يكون وَرِعًا؛ لأنَّ الوَرَعَ رُتْبةٌ عَزِيزةُ المنالِ، ومتى ارتقى المُسلِمُ إلى مرتبةِ الوَرَع فقد نال أسْمَى المراتبِ، وتحلَّى بِأجْمَلِ المناقبِ .

قال حبيبُ بنُ أبي ثابتٍ (لَا يُعْجِبُكُمْ كَثْرَةُ صَلَاةِ امْرِئٍ وَلَا صِيَامِهِ، وَلَكِنِ انْظُرُوا إِلَى وَرَعِهِ، فَإِنْ كَانَ وَرِعًا مَعَ مَا رَزَقَهُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادَةِ؛ فَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ حَقًّا).

عباد الله: للورعِ فضائِلُ أكثرُ من أن تُحْصَى، ومن أهم فضائلِه: أنَّ الوَرَعَ عاصِمٌ من الوقوعِ في المعاصي: قالت عائشةُ ﵂في شأنِ حادثةِ الإفكِ: «وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ: يَا زَيْنَبُ! مَا عَلِمْتِ؟ مَا رَأَيْتِ؟ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلاَّ خَيْرًا. قَالَتْ: وَهْيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ» خ.م.

ومن فضائلِ الوَرَعِ: أنه مِنْ أعلى مراتبِ الإيمانِ، وأفضلِ درجاتِ الإحسانِ ؛ لقولِه ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنِعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحَسِنْ جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا» ابن ماجه.

ومن فضائلِ الورعِ: أنَّ أهلَ الوَرَعِ هُمْ أَوَّلُ مَنْ يدخلُ الجنَّةَ؛ لقوله ﷺ «هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؛ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَتُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ؛ لاَ يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً...وفيه: قَالَ: فَتَأْتِيهِمُ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ(سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) أحمدُ وغيرُه.

ومن فضائِلِ الوَرَع: الكَفُّ عن الحرامِ، والبُعْدُ عمَّا لا ينبغي؛ وهذا من تمامِ التَّقوى، قال أبو بكرٍ الصِّديقُ ﷺ: (كُنَّا نَدَعُ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الْحَلَالِ؛ مَخَافَةَ أَنْ نَقَعَ فِي بَابٍ مِنَ الْحَرَامِ). وقال ابنُ عُمَرَ ﷺ: (إنِّي لَأُحِبُّ أنْ أدَعَ بيني وبين الحَرامِ سُتْرَةً من الحَلالِ لا أخْرِقُها). وقال الحسَنُ البصريُّ: (مَا زَالَت التَّقْوَى بالمُتَّقين حَتَّى تَرَكُوا كثيرًا من الْحَلَال؛ مَخَافَة الْحَرَام).

عن العبَّاسِ بن سهمٍ أنَّ امرأةً من الصالحاتِ أتاها نعيُ زوجِها وهي تعجنُ، فرفعت يدها من العجينِ وقالت: "هذا طعامٌ قد صار لنا فيه شركاءُ-تعني الورثةُ . قال ابنُ القيمِ : فما بالُ أقوامٍ يأكلونَ أموالِ اليتامى والنساءِ.

ومن فضائله: أنَّ اللهَ تعالى يَسْتَجيبُ دُعاءَ أهلِ الوَرَعِ؛ يقول ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ؛ فَقَالَ:(يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ). وَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)

ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ» م.

عباد الله: إِنَّ الإِنْسَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ وَرِعًا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، وَمِنْ أَهَمِّ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَرَّعَ فِيهِ هُوَ الْمُعَامَلاتُ الْمَالِيَّةُ، فَالْقَلِيلُ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ يُورِثُ النَّارَ،

فَعَلَيْهِ أَنْ لا يَقْتَرِبَ مِمَّا لَيْسَ لَهُ، سَواءً كَانَ ذَلِكَ مِنْ مَالِ غَيْرِهِ مِنَ الْبَشَرِ أَوْ مِنْ مَالٍ تَابِعٍ لأَيِّ مُؤَسَّسَةٍ خَاصَّةٍ أَوْ عَامَّةٍ .

قدم على عمرَ ﷺ مسكٌ وعنبرٌ من البحرينِ، فقالَ عمرُ: "واللهِ لوددتُ أني أجدُ امرأةً حسنةً، تزنُ لي هذا الطيبَ حتى أُفرقَهُ بين المسلمينَ، فقالت له امرأتُه عاتكةُ بنتُ زيدِ بنِ عمرو بنِ نُفيلٍ: أنا جيدةُ الوزنِ، فهلمَّ أزنُ لك؟ قال: لا، قالت: ولم؟ قال: إنيّ أخشى أن تأَخذِيه هكذا وأدخل أَصابعه في صدْغَيِه وتمسحينَ عُنُقَكِ، فأصيبُ فضلاً عن المسلمين". أحمد في الورع .

ألا فَاتَّقُوا اللهَ -عِبَادَ اللهِ-، وَاتَّخِذُوا الْوَرَعَ خُلُقًا، تَنَالُوا السَّلامَةَ دُنْيَا وَأُخْرَى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) بارك الله ...

الخطبة الثانية :

الحمد لله ....أما بعد: فيا عباد الله: اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى بَيَّنَ لَكُمُ الدِّينَ، وَأَتَمَّ عَلَيْكُمُ النِّعْمَةَ، فَعَرَّفَكُمُ الْحَلالَ لِتَأْخُذُوهُ بِرَاحَةٍ وَاطْمِئْنَانٍ، وَبَيَّنَ لَكُمُ الْحَرَامَ لِتَحْذَرُوا مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ وَالاقْتِرابِ مِنْهُ، وَسَكَتَ عَنْ أُمُورٍ رَحْمَةً بِالْبَشَرِ، فَمَا كَانَ مِنْهَا قَرِيبًا مِنَ الْحَلالِ وَشَبِيهًا بِهِ فَقَدْ أَبَاحَهُ لَكُمْ، وَمَا كَانَ مِنْهَا قَرِيبًا مِنَ الْحَرَامِ وَشَبِيهًا بِهِ فَقَدْ نَهَاكُمْ عَنْهُ، وَمَا أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ فَقَدْ دَعَاكُمُ الْحَقُّ جَلَّ وَعَلا إِلَى الْوُقُوفِ عَنْهُ، وَوَجَّهَكُمْ إِلَى الْحَذَرِ مِنْهُ، لِتَجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْحَرَامِ مَسَافَةً، فَتَكُونُوا بَاقِينَ فِي دَائِرَةِ السَّلامَةِ، وَالسَّلامَةُ لا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ، وَذَلِكَ هُوَ الْوَرَعُ - يَا عِبَادَ اللهِ،

يَقُولُ ﷺ (إِنَّ الْحَلالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ، لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ).خ.م .

عباد الله: مِنْ أعْظَمِ مَجالاتِ الوَرَع: أنْ يَتْرُكَ المُؤمِنُ ما لا يَعْنِيه؛ قال ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ» الترمذي.

قال ابنُ القيّم: (جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ الْوَرَعَ كُلَّهُ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ؛ فَقَالَ: (مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ).

فَهَذَا يَعُمُّ التَّرْكَ لِمَا لَا يَعْنِي مِنَ الْكَلَامِ، وَالنَّظَرِ، وَالِاسْتِمَاعِ، وَالْبَطْشِ، وَالْمَشْيِ، وَالْفِكْرِ، وَسَائِرِ الْحَرَكَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ فَهَذِهِ الْكَلِمَةُ كَافِيَةٌ شَافِيَةٌ فِي الْوَرَعِ).

إِنَّ مَجَالاتِ الْوَرَعِ كَثِيرَةٌ، فَمِنْ ذَلِكَ حِفْظُ الْمَرْءِ جَوَارِحَهُ حَتَّى لا تَقَعَ فِيمَا يُغْضِبُ اللهَ تَعَالَى.

وَمِنَ الْجَوَارِحِ الَّتِي قَدْ تُوْقِعُ الإِنْسَانَ فِي الشَّرِّ وَالْعِصْيَانِ جَارِحَةُ اللِّسَانِ، وَقَدْ قَالَ ﷺ يَوْمًا لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَقَدْ أَخَذَ بِلِسَانِهِ: (كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ).الترمذي.

إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَسْتَهينونَ بِبَعْضِ الذُّنُوبِ وَلا يُلْقُونَ لَهَا بَالاً، وَيَحْسَبُونَهَا هِيِّنَةً وَقَدْ تَكُونُ تِلْكَ الأَعْمَالُ عِنْدَ اللهِ عَظِيمَةً ، فَلا يَنْبَغِي مِنَ الْعَاقِلِ أَنْ يَحْقِرَ شَيْئًا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي(وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) . ثم صلوا ...